أولاً: مع الزمان..!!

على هامش العام المنصرم

قال أستاذي: إن من الجوانب التي تميز هذه البلاد سيرها في تاريخها على التقويم الهجري، خاصة فيما يتعلق بالصرف في نهاية الشهر.. وقال إن كثيراً من البلاد العربية والإسلامية لا تكاد تذكر التقويم الهجري إلا عند حلول شهر رمضان المبارك، وقرب حلول عيد الأضحى المبارك. وندرك نحن هذا وندرك التوجيهات السامية التي تؤكد على استخدام التقويم الهجري. وفي الوقت ذاته ندرك الحاجة إلى استخدام التقويم الآخر في المراسلات الخارجية.

وقد يرى البعض أن مثل هذا الموضوع لا يستحق مثل هذا البحث والتقصي، إلا أن الأمر كما يبدو لم يتوقف عند هذا الحد، ولكنه جر معه شيئاً مما يصاحب هذا التقويم الآخر من شعائر وطقوس هي من الأصل الذي قام عليه التقويم بعيدة. ويلاحظ أن كثيراً من وسائل الإعلام العربية والإسلامية تعد برامج خاصة عن أحداث العام المنصرم، وأن العام المنصرم كان مليئاً بالأحداث، بعض منها يسرنا نحن وبعض لا نحبذه ولكننا نقبله بروح المؤمن. فهناك فلسطين وأفغانستان وهناك طائرات المدنيين التي سقطت بهم، وهناك زلازل أرمينيا وفيضانات السودان وبنغلاديش وهناك أحداث أخرى متفرقة.

لا يتوقف الأمر على التركيز الإعلامي على عام مضى والتطلعات لعام قادم، بل إن بعضاً من المسلمين في بلاد أخرى تراهم ينخرطون في احتفالات العام الجديد، ويهنىء بعضهم بعضاً ويتبادلون البطاقات ليس في العام الجديد فحسب، بل وفي عيد الميلاد الذي يحيونه مع نهاية كل عام. وأعرف أن شخصاً قد نصب شجرة عيد الميلاد في زاوية من زوايا داره، وعندما تسأله عن موجب هذا يقول لك هذه للأولاد ليفرحوا كما يفرح أقرانهم، وهذه ناحية تحتاج إلى توقف ونقاش؛ لأنها وإن كانت مظهرية فلها ما لها من تأثيرها على الجيل. وأعرف شخصاً آخر في بلاد عربية مسلمة يولم بديك رومي في عيد الشكر الذي يوافق آخر خميس من نوفمبر ويدعو له الأصدقاء والأحباب، بل إن هناك محلات عربية في بلاد عربية تبيع اللحم الحلال ويرتادها كثير من المسلمين تجد أنّهم يبيعون في هذه الفترة الديك الرومي المذبوح على الطريقة الإسلامية بحجة أنّه لا يتوافر في السوق إلا أيام عيد الشكر.

هذا وفي الجانب الآخر تجد أن هناك نشاطاً محدوداً نوعاً ما عندما يحل عيد الفطر المبارك أو عيد الأضحى المبارك في بعض البلدان العربية أو الإسلامية حيث الناس ينخرطون في أعمالهم وقد لا يستطيعون الخروج إلا لأداء صلاة العيدين. وليس الكلام هذا على ظاهره فهناك أقليات مسلمة تحتفل بالعيدين فلا وجه للمقارنة، ولكنها الروح التي تبرز واضحة في الأعياد الأخرى. فالتلفزيون في كثير من البلدان العربية والإسلامية ـ وأمامه الأطفال ـ مليء بالدعايات والبرامج والعروض ونحوها في وقت يغفل فيه الأهل من استغلال هذه الفرصة ليعطوا الأبناء فكرة عن هذا الوضع ويؤكدوا لهم على التميز الذي سيقفون منه وقفات تفكير وترو.

نعم هناك من الأسر الإسلامية في الخارج من يقول: وما المانع من

أن يشارك الصغار الآخرين أشياء فيها براءة، ويترك للأهل شرح هذه الأشياء وانتزاعها من مدلولها الروحي؟ ولعل هذه المقولة هي التي يخشى منها، إذ يعتقد أن الصغار لا يتأثرون، وعلينا أن نعود إلى نفسية الصغار لندرك أنّهم أكثر من غيرهم تأثراً بما حولهم، وأن توجيههم أهم بكثير من توجيه البالغين ولم يثبت إلى الآن بطلان الحكمة التي تقول إن العلم في الصغر كالنقش في الحجر. ولم يقتصر الأمر على الصغار ولكنه أيضاً شمل الكبار نتيجة لعدم الشعور بالانتماء الإسلامي الصحيح، وهذا هو محور الحديث. ففي الوقت الذي تجد فيه حماساً للدين وللرسول ـ عليه السلام ـ تفتقد عند البعض في بلدان عربية وإسلامية الجوانب العملية لهذا الحماس. ونقول إن الحديث هنا ينصب على المجتمع العربي والمسلم بشكل عام. ألسنا نرى أن بعض البلاد العربية والإسلامية قد جعلت من يومي السبت والأحد إجازة رسمية لها بدلاً من الخميس والجمعة، رغم أن هذه البلاد العربية والإسلامية لا تذكر في نظامها أنها تدين بغير الإسلام.

ويناقش الآخرون فكرة الأشهر وربما السنين، وعلينا ألا نغفل الدعوات المتكررة في بلاد أخرى التي تؤيد فكرة توحيد التقويم حالياً حتى وصل الأمر بالبعض أن يناقش بجدية مسألة تعديل الأسماء فقط.

والخلاصة أن الذي يبدو أن هناك رغبة من قبل بعض أبناء عرب ومسلمين في التعلق بالتقويم الميلادي وأننا نلاحظ هذا مع نهاية كل عام ميلادي، وأن هذا بارز في كثير من البلاد العربية والإسلامية، ولكنه ـ بحمد الله وفضله ـ ينعدم في هذه البلاد المتميزة ـ المملكة العربية السعودية ـ فلا بد من التأكيد على هذا التميز، ولا بد من نقله إلى بقية البلاد العربية والإسلامية، بحيث يكون التقويم الهجري هو الأسلوب المتبع لتأريخ الوقائع والأحداث والمؤتمرات واللقاءات والزيارات على

مستوى المؤسسات والمنظمات والجمعيات العربية والإسلامية. وهذا أمل نتطلع إلى تحقيقه، وأمل في النفس خالجها مع نهاية العام الميلادي ١٩٨٨ م، وكان الله في عون الجميع.

١٤٠٩ هـ هذا العام الجديد..!!

كل عام وأنتم بخير وسلام. يدخل علينا هذا العام الجديد ونحن أكثر بشرى وابتهاجاً من أعوام مضت. نحن الآن على مشارف مشروعات للسلام. الحرب العراقية الإيرانية قد رسم لها أن تتوقف يوم السبت القادم ٨/١/١٤٠٩ هـ الموافق ٢٠/٨/١٩٨٨ م. وتبدأ المحادثات المباشرة بين الطرفين يوم الخميس ١٣/١/١٤٠٩ هـ الموافق ٢٥/٨/١٩٨٨ م. والجنود الروس سيكثفون من انسحابهم من أفغانستان بحيث لا يبقى إلا أعداد محدودة من الجنود والمستشارين العسكريين الذين سيشرفون على خروج آخر جندي روسي من أرض الأفغان. وفي جنوب إفريقيا ستتوقف الحرب بينها وبين أنجولا وسيعود الجنود الكوبيون إلى بلادهم. والانتفاضة الفلسطينية ستستمر معلنة للعالم كله أن هناك إرادة تتحطم أمامها جميع الحركات الجانبية التي تنتهي في الإطالة بالوجود اليهودي في فلسطين.

يناقشون في مطلع هذا العام الهجري المبارك من المنتصر ومن الخاسر في هذه الحروب. ويقول البعض إن كل الأطراف قد خسرت، ولم يفز فيها إلا بعض أولئكم الذين تحدثت عنهم في الأسبوع

الماضي[1]. والحق أن آثار الحرب لا تنتهي مع نهاية الحرب. فنحن لا نزال نعيش آثار الحرب العالمية الثانية رغم مرور أكثر من أربعين عاماً على توقفها ١٩٤٥ م ـ ١٩٨٨ م. وفيتنام لا تزال تعيش آثار الحرب التي تورطت فيها كل من روسيا وأمريكا، وخرج الاثنان خاسرين بكل المقاييس. والحرب الكورية قبلها لا تزال باقية الآثار، وهكذا. وعليه فإن إيران والعراق سيحتاجان إلى وقت غير قصير لتلتئم جروحهما بعد أن فقدوا مليون قتيل في حرب السنوات الثماني. والروس سيخرجون من أفغانستان كما خرجت أمريكا من فيتنام. إلا أن الوضع في أمريكا يسمح بأن يقول الجنود والقواد والإعلام إنهم هزموا فتقوم لهم الهيئات والمؤسسات والجمعيات والمستشفيات، بل والمصحات. ويقيمون لهم حائطاً في العاصمة واشنطن يكتبون فيه أسماء من قتلوا في هذه الحرب من الأمريكيين، ويواصلون البحث عن المفقودين.

أما في الاتحاد السوفييتي فإن الوضع لن يسمح بشيء من ذلكم أبداً وستظل القبضة الحديدية تضلل كثيراً من الناس داخل الاتحاد السوفييتي وخارجه. ولن تقوم هناك جمعيات أو مؤسسات ولن يقام للمقتولين ما أقيم لهم في واشنطن. ولا يهم الأمر هنا أن يقام لهم حائط أو نصب أو غيره. المهم أن يعي الآخرون أن هذه الدولة التي أطلق عليها الكثيرون الدولة العظمى تخرج مهزومة من قبل أولئكم الذين أطلق عليهم الكثيرون أيضاً (البدائيين)، ولا أخالهم بدائيين وهم يملكون العقيدة التي أعانتهم على الصمود أمام هذه القوة العظمى. هم ليسوا بدائيين وهم يضعون أسلحتهم أمامهم ويقفون بين يدي الله تعالى معبرين عن توكلهم عليه في العدة والعدد. بدائيتهم أتت من أنهم لا يملكون السلاح المادي الذي

(١) المقصود بهم هنا تجار السلاح الذين يسعون إلى ترويج بضاعتهم على حساب حياة الأمم!!

تملكه أصغر دولة تحرص على حماية حدودها ووجودها. ولكن الروس لم يبخلوا عليهم بالسلام فأعطوهم ـ دون رغبة منهم ـ السلاح الذي جلبوه ليقضوا به عليهم. وتلكم من التدابير التي لا تخضع للتخطيط ولا تفيد بها الدراسات الاستراتيجية، أي أنها خارجة عن إرادة الإنسان ومستواه في التفكير.

ولو عدنا إلى الوضع في إيران والعراق لوجدنا أن إيران قد تورطت في هذه الحرب لأسباب لعلها معروفة. ويحضرني هنا كلمة قالها السيناتور الأمريكي هنري جاكسون ممثل واشنطن الولاية ورئيس لجنة الشرق الأوسط في مجلس الشيوخ. كان قبل وفاته قد قال إن الوضع في إيران يفرض إشغال الإيرانيين ليتمكن الحكام من البقاء والإبقاء على إيران؛ لأن إيران ـ كما تقدم ـ سوف تنقسم على نفسها حالما تتاح الفرصة للتفكير في الأوضاع الداخلية. والآن وقد بدأ حزب مجاهدي خلق يهدد الحكومة من الداخل بدأت مصداقية ما قاله ذلكم السيناتور الراحل. وعليه فلعل الحكومة الإيرانية الحالية كانت تصر على استمرار الحرب حتى تتلافى حرباً داخلية بدلاً من الحرب على الحدود. ولتتلافى حرباً أهلية بدلاً من الحرب بين جنس وآخر، وهكذا.

والمرء هنا لا يسعى إلى أن يتمنى الشر بالآخرين، ولكنه الوضع الذي يفرض مثل هذه الاستنتاجات. يضاف إلى ذلكم الصراع على السلطة بين أحمد الخميني ومنتظري ورافسنجاني. وكل من هؤلاء يمثل اتجاهاً لا يخرج عن النطاق العام الذي رسمه الخمينيون لحكم البلاد قبل ثماني سنين.

ولعل من نتائج هذه الحرب أن فقدت إيران مجموعة غير يسيرة من أبنائها الذين كانوا مختلفين مع فكرة الحرب فغادروا البلاد بما معهم من أرصدة، وبدأوا باستثمارها في أوروبا وأمريكا، وكونوا هناك جالية لم

تكن موجودة من قبل. هؤلاء يسميهم البعض «تجار البازارات» وهم بحق أهل الاقتصاد في البلاد. ومثلهم العلماء في المجالات الشتى من مجالات المعرفة، يحاضرون ويبحثون ويدرِّسون في الجامعات الغربية، ويستحي بعض منهم أن يقال عنه إنه إيراني. حتى قال لي أحدهم: إنني لست من إيران الحالية وإن كنت من إيران.

حتى علماء الدين أدلوا بدلوهم وكتب «١٥٠,٠٠٠» عالم منهم عريضة للخميني يطلبون منه فيها أن ينهي الوضع ويقبل بالقرار، فرد عليهم أنهم إن كانوا مصرين على هذا الطلب فليدعوا الله أن يعجل في موته ـ موت الخميني ـ ويقف آية الله اليعقوبي في المنابر يندد بالسياسة التي اتبعها الخميني في هذه الحرب في الوقت الذي أوهم فيه الخميني الناس أن قراره السياسي هذا قد أخذ طابع القدسية. ولا بد لبقية الآيات أن يلتزموا بهذا القرار ويدافعوا عنه على اعتبار أنه لم يصدر من مجرد بشر..!.

وإيران ما بعد الشاه تحتاج إلى مزيد من الدراسات والتحليل للعقلية والنفسية التي حكمت إيران في هذه الفترة ليخرج المرء بأحكام موضوعية متجردة لا بد أن تصل في نهاية المطاف ـ ولو طالت مسافته ـ إلى النتيجة الحتمية لمثل هذه التصرفات ليدفع الشعب الإيراني في النهاية الثمن باهظاً، متمثلاً في فلذات الأكباد من الأطفال والشباب الذين كان من الممكن تحويلهم إلى الحق والاستعانة بهم في مواجهة نوائب الدهر عموماً ومواجهة عدو مشترك يهدد المنطقة بالتمزق والضياع. هذا إذا كان هذا العدو مشتركاً! هذا بالإضافة إلى الأيامى والثكالى والأيتام والمعوقين الذين يحتاجون إلى أكثر من مجرد المال أو المؤسسات. يحتاجون إلى المعاني أكثر من الماديات حيث لا يصلح العطار ما أفسده الدهر.

فيأتي وقف إطلاق النار وبدء المحادثات في سبيل السلام ليقطع

الطريق أمام مزيد من المآسي بأشكالها المختلفة، ويترك مجالاً لرأب الصدع وعلاج الجرح بدلاً من أن تتسع الفجوة فلا يلتئم الجرح. ويحل علينا هذا العام يحمل البشرى لنا جميعاً في استئناف حياة أكثر هدوءاً وأكثر تركيزاً على قضايا مصيرية نحن بحاجة إلى التركيز عليها على مستوى المنطقة العربية عموماً. فليكن عامنا هذا عام السلام، وليكن بداية النهاية لكل منغصات السلام. وكان الله في عون الجميع.

١٤١٠ هـ هذا العام الجديد

يؤثر عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قوله: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. ومحاسبة النفس ليست مقصورة على مرور عام وحلول عام آخر. فالمرء يحاسب نفسه بالثواني والدقائق والساعات والأيام والشهور. وهناك شعور خاص عند حلول عام جديد يعتور المرء ويجعله دون رغبة أحياناً ينظر إلى الخلف، إلى عام مضى فيقوّم ما ناله في هذا العام وما قدمه، ويحاول أن يوازن بين ما قدمه وما ناله حسبما هي الجهة التي قدم لها ونال منها. فالعابدون يقدمون جهدهم ـ وحسب مقدرتهم ـ في العبادة ولا ينظرون إلى ما نالوه جزاء لما قدموه، فذلكم أمر متروك لله تعالى، وعمر بن الخطاب كان يقول: إنّه لا يحمل همّ الإجابة ولكنه يحمل همّ الدعاء.

والمواطنون يقدمون العمل الواجب للوطن في الداخل والخارج، وهم أيضاً لا يقوّمون ما قدموه بما نالوه، فمهما نالوا فلن يعطوا الوطن حقه، مع أنهم ينالون الكثير من الوطن، وما برح الوطن يدر عليهم من خيرات ينعمون بها ولا يدركها بعضهم إلا من فقدها، أو عاش مع فاقديها، ولذا تأتي فائدة السفر في الموازنة بين ما يقدمه هذا الوطن لمواطنيه وبين ما تقدمه الأوطان الأخرى لأبنائها. لقد كثرت الهجرات من

الأوطان الأخرى سعياً وراء الاستقرار والأمن الوظيفي والغذائي والنفسي، ولكننا في هذا الوطن - بحمد الله - تكثر الهجرات إلينا سعياً وراء التنعم بالاستقرار والأمن بكل أنواعه. وهذا شيء مشاهد ولسنا بعيدين بعداً معنوياً عن أمريكا، ذلكم البلد الذي قام أصلاً على المهاجرين من أوروبا وإفريقيا وآسيا، ولم يحس فيه هؤلاء المهاجرون بعد ما ذهبوا يبحثون عنه.

والمقيم في هذه البلاد الطيبة يتمنى طول الإقامة، ليس لأنه ينال مادة أكثر مما ينال في بلاده، ولكنه هنا يطعم معنى الحياة فيكوِّن الصداقات مع أبناء هذه البلاد ويُشعر - بالمبني للمجهول - بأنه من أهل الدار وقد يسيء البعض من هؤلاء حسن التعامل فتكون هناك انطباعة غير طيبة لدينا عن المجموع ويؤخذ هذا وذاك حجة عليهم. ومع هذا فتراهم يغبطون أبناء هذه البلاد على بلادهم.

ومع إطلالة العام الجديد ينظر المرء إلى الخلف فيحمد الله على أن مضت به الأعوام وهو في خير عميم، ويرى أن أية سلبيات قد مرت عليه - إن كان قد واجهها خلال الأعوام الماضية - إنما هي منبهات له تعينه على الإدراك بأنه يعيش الواقع بالعمل الجاد، والجهد المطلوب.

وينظر المرء إلى الأمام - ربما الأمام البعيد - مع حلول العام الجديد فتجدد عنده تلكم الطموحات التي كان قد رسمها في لحظة من اللحظات، فتراه يعلق الآمال وهو يدرك بإيمانه أنه قد لا يلقى أهله وربعه في العام القابل، ولكنه لا يستسلم لهذا فيغرس ما معه من فسيلة، حتى لو كانت الساعة قاب قوسين أو أدنى منه، سواء الساعة الكبرى، أم ساعته هو. وما عليه إلا أن يدعو الله أن يكون عامه هذا عام خير وبركة على بلاده وأهله وذاته.

عمر.. والرشوة..

وأنا أعود إلى عبقرية عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ خطها يراع عباس محمود العقاد ـ رحمه الله ـ وحيث إني عدت إلى أقوال عمر في محاسبة النفس والنظر إلى نتائج الدعاء أجد أن مملكة الإسلام في عهد عمر بن الخطاب قد توسعت كثيراً جداً مما كانت عليه أيام أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وأيام الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلا بد من الولاة والعمال على الأمصار، ولا بد من العاملين في الولايات مع الولاة والعمال. ولسماحة الدين ينشره عمر يستعين الولاة والعمال بغير المسلمين ممن يعيشون تحت حماية ورعاية راية الإسلام. ولكن عمر لا يعجبه هذا الأسلوب في الاستعانة بأهل الذمة. وكان يقول لولاته: «إني نهيتكم عن استعمال أهل الكتاب فإنهم يستحلون الرشا» (جمع رشوة) يقول العقاد: «وطلب/ عمر/ يوماً من أبي موسى رجلاً ينظر في حساب الحكومة فأتاه بنصراني فقال: إني سألتك رجلاً أشركه في أمانتي فأتيت بمن يخالف دينه ديني». وكان لعمر خادم من أهل الكتاب يُقال له أسبق. فعرض عليه أن يسلم حتى يستعين به على بعض أمور المسلمين فأبى فأعتقه وأطلقه وقال له: «اذهب حيث شئت».

عجيب أمر عمر بن الخطاب وموقفه هذا. عمر بن الخطاب الذي أبى أن يصلي في كنيسة في بيت المقدس خشية أن يقال بعده صلى بها عمر، فتحول الكنيسة مسجداً. وعمر بن الخطاب الذي وجد قذارة على عتبة الكنيسة فوضع «حجره» يحملها به يبعدها عن الكنيسة. موقف عمر من أهل الكتاب موقف إيجابي في بدايته ونهايته، لكنهم كما وصفهم يتعاطون الرشوة.

ويتهم الغربيون ـ ومنهم أهل الكتاب ـ بعض بلاد المسلمين بالرشوة، وأنها متفشية بينهم حتى في المطارات، فيرد عليهم المسلمون

بأنهم لم يكونوا يعرفون الرشوة قبل أن يختلطوا بالأجناس الأخرى عن طريق الاستعمار، أو عن طريق السفر إلى بلادهم والاطلاع على ثقافتهم.

ويحسن المسؤولون كثيراً في هذه البلاد الطاهرة حينما يشهرون بالمرتشين في الصحف المحلية، معلنين صراحة رفضهم لهذه العاهة ووقوفهم منها موقف المحارب لكل ما من شأنه أن يقوِّض هذا المجتمع ويسيء إلى مبادئه التي يقوم عليها وإلى سمعته التي يبنيها.

عمر.. والتوراة..

وما دمنا مع عمر الذي سن العام الهجري بدءاً من محرم الحرام، وما دام لعمر موقف من أهل الذمة، نرى عمر يقع على كتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فيقرأه على الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيغضب الرسول ـ عليه السلام ـ ويقول لعمر ـ كما في تفسير ابن كثير ـ: «أمتهكمون فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه، أو بباطل فتصدقونه. والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني». والقصة في تفسير ابن كثير عند تفسير سورة يوسف ولها طرق أخرى.

وذلكم منهج ثقافي فكري عقدي ينبه إليه الرسول ـ عليه السلام ـ أمة محمد ألا تستعين بكتب أهل الكتاب والقرآن الكريم بين ظهرانيها، ولا يقتصر الأمر على الكتب، ولكنه ـ عليه السلام ـ ينهى أن يكون غير المسلمين مصادر للمعوماتِ خشية أن يخبروا بالحقيقة فيكذبها المسلمون، أو يخبروا بالباطل فيصدقه المسلمون. وهذا الموقف يجرنا إلى التعريج على فئة من أبناء أهل الكتاب ـ في العموم ـ نسميهم المستشرقين فأخبرونا بالباطل فصدقه كثير من العرب والمسلمين ـ وأخبرنا

بعضهم بالحق فكذبه البعض من العرب والمسلمين. وكم تأثر بهم البعض وكم تأثر منهم الكثيرون. وعودة يسيرة إلى مثل هذه الوقفات الثقافية من رسول الله ـ عليه السلام ـ تعطينا بدقة ما نريد أن نكونه من موقف تجاه الثقافات الأخرى وتجاه أولئكم الذين جعلوا من ثقافتنا وديننا في عالمنا الإسلامي مجالاً يحققون منه أهدافاً بعيدة المدى ذكر منها الباحثون الأهداف التنصيرية والاستعمارية والتجارية والاقتصادية والسياسية والوقوف مع هؤلاء يحتاج إلى نَفَس وثروة علمية ورغبة في البحث، والله المستعان.

الجزيرة العدد ٦١٧٠

الأحد ١٩ محرم ١٤١٠ هـ، ٢٠ أغسطس ١٩٨٩ م

العقد الثاني من القرن الخامس عشر!

يذكر أبو جعفر النحاس في «صناعة الكتاب» عن محمد بن جرير أنه روى بسنده إلى ابن شهاب أن النبي ﷺ ـ لما قدم المدينة وقدمها في شهر ربيع الأول ـ أمر بالتأريخ. ويقول النحاس: والمعروف عن العلماء أن ابتداء التأريخ بالهجرة كان في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

وكان عامل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في اليمن قد قدم عليه فقال: ألا تؤرخون كتبكم ؟ وهذا ما ذكره النحَّاس في السبب الموجب للتاريخ الهجري.. ويذكر أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل» أن السبب فيه أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندري على أيها نعمل، قد قرأنا كتاباً منها محله شعبان، فما ندري أي الشعبانين، الماضي أو التالي فأحدث عمر التاريخ.. ويوافق أبا هلال العسكري ابن حاجب النعمان في «ذخيرة الكُتَّاب».

قال القلقشندي: وذكر صاحب حماة في تاريخه: أنه رفع إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ صك محله شعبان، فقال: أي شعبان، لا ندري الذي نحن فيه أم الذي هو آت، ثم جمع وجوه الصحابة وقال: إن الأموال قد كثرت وما قسمناه منها غير مؤقت فكيف التوصل إلى ما يضبط به ذلك ؟

فقالوا: يجب أن نعرف ذلك من أمور الفرس، فاستحضر الهرمزان وسأله فقال: إن لنا حساباً نسميه (ماه زور) ومعناه حساب الشهور والأيام فعمل عمر التأريخ.

ويذكر ابن حاجب النعمان في «ذخيرة الكُتَّاب»: «لما أراد عمر التأريخ جمع الناس للمشورة، فقال بعضهم نؤرخ بمبعث النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل بوفاته. وقال بعضهم: بل بهجرته من مكة إلى المدينة؛ لأنها أول ظهور الإسلام وقوته، فصوبه عمر واجتمع رأيه عليه» والملحوظ هنا أنه لم يأت رأي رابع يؤرخ بمولد النبي ﷺ. رغم أن مولده ـ عليه السلام ـ معروف بعام الفيل واستأثرت النصارى بالتأريخ بمولد عيسى ـ عليه السلام ـ بزيادة ستة أيام، إذ يذكر أن مولده يوافق الخامس والعشرين من الشهر الثاني عشر (كانون الأول/ ديسمبر) من السنة الميلادية.

وبعد الاتفاق على الهجرة للتأريخ نظر المسلمون في بدء السنة الهجرية فأشار بعض المسلمين بالبداءة برمضان لشرفه وعظمه فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: بل بالمحرم؛ لأنه منصرف الناس عن حجهم، وذكر القضاعي في «عيون المعارف» ـ أن ذلك كان سنة تسع عشرة أو ثماني عشرة من الهجرة.

تواريخ الأمم:

قال صاحب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: «واستقرت تواريخ الأمم على أربعة تواريخ ابتداء بعضها مقدم على ابتداء بعض:

أولها: غلبة الإسكندر على الفرس، وعليه تاريخ السريان والروم..

والثاني: ملك دقلطيانوس ملك الروم على القبط، وعليه تاريخ القبط..

والثالث: الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وعليها مدار التاريخ الإسلامي.

والرابع: هلاك يزدجرد آخر ملوك الفرس وبه تؤرخ الفرس..».

وتتفق تواريخ الأمم على عدد الشهور، فكل منها اثنا عشر شهراً ولكنها تختلف في النظام، فمنها القمري ومنها الشمسي، وتختلف في تسمية الشهور وعدد أيامها.

والشهور عند السريان هي: تشرين الأول ـ وتشرين الثاني، وكانون الأول وكانون الثاني، وشباط، وآذار «بالذال المعجمة» ونيسان، وأيار، وحزيران، وتموز، وآب، وأيلول، وتبدأ السنة عند السريان بتشرين الأول.

وشهور السنة الرومية تضاهي شهور السنة السريانية في عدد الأيام، ولكن أسماء الشهور تختلف وبداية السنة الرومية تختلف أيضاً عن السنة السريانية، فتبدأ السنة الرومية مع كانون الثاني وهو الشهر الرابع في سنة السريان. أما أسماء شهور السنة الرومية فهي كالتالي:

على الرسم الذي أورده القلقشندي، ينيِّر، وفبراير، ومارس، وأبريل، ومايه، ويونيه، ويوليه، وأغشت، وشتنبر، وأكتوبر، ونوفمبر، ودجنبر. وهي الشهور المعمول بها الآن في السنة الميلادية مع اختلاف طفيف في الرسم.

ويستعمل بعض العرب في الديار الشامية الشهور السريانية على طريقة السنة الرومية، ويستعمل بعض العرب في المغرب العربي الشهور الرومية ولكن تبعاً لرسمها في اللغة الفرنسية. وشهور السنة القبطية هي: توت، وبابه وهتور، وكيهك، وطوبه، وأمشير، وبرمهات، وبرمودة، وبشنس، وبشونة، وأبيب، ومسرى، وكل شهر منها ثلاثون يوماً.

وشهور التأريخ العربي الذي مبدأه الهجرة معروفة.

وشهور التأريخ الفارسي هي: أفرودين ماه، واريبهشتماه،

وحردادماه، وتيرماه، وتردماه، وشهريرماه ومهرماه، وأبان ماه، وأدرماه، وذي ماه، وبهمن ماه، وسافندرماه. وكل شهر منها ثلاثون يوماً.

وأعادت اليهود تأريخها بعد أن كان قد انقرض ولم يذكر في الكتب المعتمدة في مصادر المعرفة في هذا المجال.

ومع هذه التواريخ المشهورة تعمد بعض المجتمعات الريفية والقروية إلى التأريخ المحلي المبني على أحداث محلية يعم تأثيرها ويكون لها وقع قابل للتذكر على مر السنين، فيقال حدث أمر قبل سنة كذا أو بعد سنة كذا على غرار ما كانت العرب تؤرخ تبعاً للأيام أو الحروب.

ونحن بدخولنا العام الجديد ١٤١١ هجرية نكون بدأنا العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري، وليس كما يقال أن العقد الثاني قد دخل مع دخول العام المنصرم ١٤١٠ هـ، هذا العام كان مكملاً للعقد الأول ـ ونظرتنا إلى دخول العام الجديد لا تتعدى بحال نظرة الاعتبار ووقفة حساب مع النفس في محاولة للتقويم للأعمال الباقية التي قمنا بها في العام الماضي، مع محاولة لتلافي النقص وتصميم على الأفضل في العام الجديد، وننظر في حلول هذا العام الجديد إلى ما مرّ برسولنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو في طريقه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة على اعتبار أن هذه الخطوة هي المؤشر لعزة الإسلام وقوته، كما أشار إلى هذا أحد الصحابة ممن دعا إلى بدء التأريخ العربي بهجرة رسولنا محمد ـ عليه من اللّه الصلاة والسلام ـ، وهذه طريقتنا في النظر إلى الحوادث التي مرّت وقصّها علينا القرآن الكريم أو قصتها سنة المصطفى عليه السلام أو رصدها لنا التاريخ الموثوق.

التوقعات:

ولا ننظر في حول العام الجديد إلى ما تكتبه الصحافة العربية،

والعالمية مع حلول العام الميلادي من استشراف للمستقبل بنظرة غير علمية لا تقوم على الاحتمالية أكثر من قيامها على التنبؤ أو التنجيم، فنحن لا نصدق المنجمين ولو صدقوا.. ونترك أمر الغيب لمن استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه إلا من ارتضى سبحانه وتعالى علام الغيوب، والمستقبل من علم الغيب، إلا أننا بحكم ثقافتنا نتفاءل بما هو آت وننظر إليه على أنه سيكون ـ بإذن الله ـ أفضل مما مضى. على أي حال فالنظرة المتفائلة تصاحبنا في حياتنا بغض النظر عن الزمان والوقت.

وبغض النظر عن طبيعة الحدث الذي يمر بنا، وإن كان في ظاهره يوحي بأنه في غير مصلحتنا ولكنه على المدى البعيد يكون خيراً لنا، وهكذا علمنا القرآن الكريم ألا نكره شيئاً فلعل الله أن يجعل به لنا خيراً كثيراً.

والمقوّم للأحداث التي تمر به ـ فرداً كان أو مرّت به ضمن مجموعة ـ يرى أن هذه الأحداث تكون قد نبهته إلى ما هو أعظم منها فيحتاط لما هو أعظم، أو تكون حالت دون حدوث ما هو أعظم فكانت كالمؤشر اليسير الذي يذكر بأننا نسير في نظام كوني يخضع لإرادة مدبِّره ـ سبحانه وتعالى ـ.. ولربما كانت الأحداث التي تمر بنا مكفرة عن ذنوب اقترفناها، فاستعجل عقابها علينا في الدنيا، بدلاً من أن نلقى عقابها في الآخرة، وتكون حينئذٍ رحمة من الباري جلَّ وعلا.

وهذا ما يتعلق بالأحداث التي تبدو سلبيتها لنا على المدى القريب أو بالنظرة السريعة، أما الأحداث التي تمر بنا وفي ظاهرها الإيجابية لنا فربما كانت من قبيل الامتحان والابتلاء لنا أن نشكرها فتزداد أم نكفرها فتزول، وحدوثها مع زيادتها أو نقصها مؤشر آخر على أن هذا الكون يسير بنظام مرتب دقيق، فيه التصريح الفعلي بأن الله تعالى يمهل ولا يهمل.

وعليه تقوم نظرتنا لما يمر بنا، وعليه تقوم توقعاتنا لما يمكن أن يمر بنا في العام الجديد.

وإن عاهدنا أنفسنا على أن نقلع عن أمر أو نقوم بآخر فإنما نحن نحاول أن نفتح صفحة جديدة مع الحياة نسجل فيها مفهوماً جديداً منقحاً ومطوراً للتعامل معها، وغالباً يكون التعامل بإيجابية، تلكم الإيجابية النسبية التي نحكم عليها نحن من منطلقاتنا أنها إيجابية، وقد يحكم عليها الغير ممن لا يتبنون مبادئنا بأن هذا التعامل تعامل حذر فيه تضييق على النفس حينما لا يعمد المرء إلى «الاستمتاع» بما في الحياة، ومن هنا يأتي الاختلاف في استخدام المصطلحات وفقاً للمبادىء التي يؤمن بها المرء.

سوء الفهم:

ولا يفهم من هذه النظرة إلى المستقبل عدم الاستعداد له، فنحن نمضي في خططنا وآمالنا وتطلعاتنا وكأننا نعيش أبداً حتى إذا قامت القيامة وفي يد أحدنا فسيلة يقوم بغرسها.. وهذا معنى رائع للنظرة إلى المستقبل، فنحن نتجنب الاتكالية في تعاملنا مع المستقبل، ولا نتقاعس عن البناء والتنمية، ولكنها النظرة الموقنة بأننا نعمل جهدنا ونترك النتائج لا نحمل همها. وهذا منطلق الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حينما يؤثر عنه قوله إنه يحمل همَّ الدعاء ولا يحمل همَّ الإجابة، ولعل هذا المنطلق ينطبق على العمل والعطاء دون حمل لهمّ النتائج إلا للتقويم وتحسين الأداء، وكل عام وأنتم بخير، وكان الله في عون الجميع.